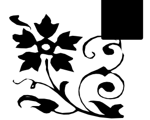
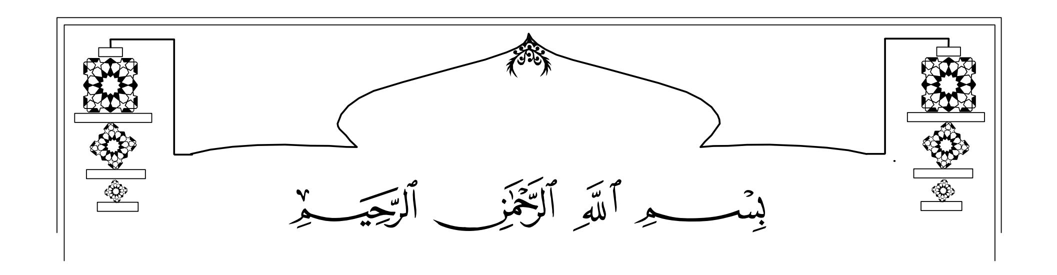


❁ سلسلة دروس في:

الإسلام دين شامل وكامل

❍ لماذا - وكيف - تُطرح «الليبرالية - والعلمانية - والدولة المدنية»
كمشاريع للإصلاح والتنمية في العالم العربي الإسلامي؟





ستبدأ إن شاء الله سلسلة دروس في:

❒ مصادر المعرفة في الإسلام (الفطرة، العقل، الوحي) تتكامل ولا تتعارض.

❒ الإسلام دين كامل وشامل.

❒ لماذا تطرح «العلمانية، والليبرالية، والدولة المدنية» كمشاريع للإصلاح والتغيير في العام العربي الإسلامي.

❒ مفهوم العلمانية ومجالاتها ونشأتها في «أوروبا» وفيها «أوروبا بين الانحراف الديني والطغيان السياسي والتخلف الحضاري» في القرون الوسطى.

❒ العلمانية في العالم الإسلامي نسأتها ومجالاتها ومظاهرها.

❒ نشأة الليبرالية ومفهومها ومقوماتها ومجالاتها «في أوروبا».

❒ الخطاب العربي الإسلامي الليبرالي ومقتضياته من «التسلل الخفي إلى التصريح والتطبيق» وفكرة الإسلام الليبرالي.

❒ مفهوم الدولة المدنية.

❒ تقييم «العلمانية - والليبرالية - والدولة المدنية» من جهتين:

١- كأطروحات تحقق ما تنادي به من الحرية والعدل والتسامح والمساواة والتقدم ونحو ذلك.

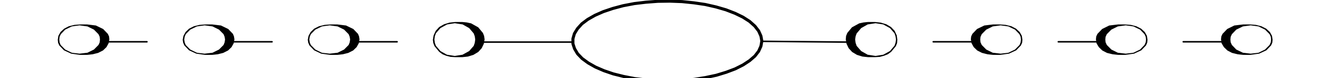
٢- حكمهما في الإسلام، وهل من مبرر للعلمانية والليبرالية في دين الإسلام؟.

❒ الغزو الفكري للمسلمين.

❒ أخلاق الإسلام.

❒ اليسر ورفع الحرج في الإسلام.

❒ الحريات في الإسلام، وحكمة الإسلام في ضبط الحريات واتباع الأهواء والشهوات.



- ❒ مكانة العقل في الإسلام ومعنى التسليم لحكم الله ورسوله ﷺ.
- ❒ شرح حديث: «أنتم أعلم بأمور دنياكم».
- ❒ تكريم الإسلام للمرأة.
- ❒ عدل الإسلام في معاملة غير المسلمين.
- ❒ السياسة الشرعية.
- ❒ الاقتصاد الإسلامي.
- ❒ فقه «الموازنة بين المصالح والمفاسد».
- ❒ فقه الخلاف، وأدب الحوار، ومنهج تصحيح الأخطاء.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

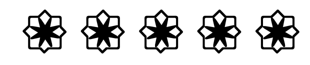
عناصر الدرس الأول

١) وسائل المعرفة (الفطرة - العقل - الوحي) تتكامل ولا تتعارض.

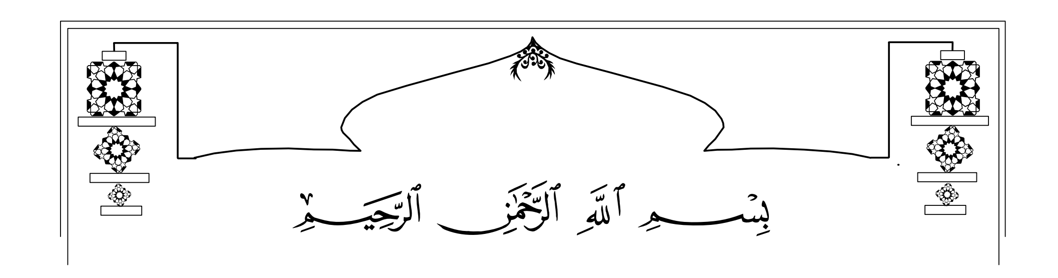
٢) الإسلام دين شامل وكامل.

٣) كيف تطرح الليبرالية في العالم الإسلامي «باختصار».

٤) وصايا مهمة.







الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ؛ وبعد:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

إن كل عاقل مفكر يعلم أن الله تعالى عليم حكيم لا يفعل فعلًا ولا يشاء شيئًا إلا بعلم وحكمة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠﴾ [الإنسان: الآية ٣٠] وهو سبحانه (أحكم الحاكمين) وله الحكمة البالغة؛ لهذا فهو سبحانه لم يخلق الخلق عبثًا ولا لعبًا ولم يتركهم سدًى، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ١٦﴾ [الأنبياء: الآية ١٦]، وقال تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى﴾ وقال سبحانه: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ وأسوأ الظن ظن الكفار المنكرين لحكمة الله من خلقه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧﴾ [ص: الآية ٢٧] لهذا الظن قالوا: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٣٧﴾ [المؤمنون: الآية ٣٧]. ولن يحيى الإنسان حياة طيبة إلا إذا علم الحكمة من خلقه.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ [البقرة: الآية ٣٠] فقد خلق الله سبحانه الإنسان ليكون خليفة في الأرض، وشرفه سبحانه بأن حمله الأمانة قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ﴾ [الأحزاب: الآية ٧٢] والأمانة هي التكليف بالعبادة ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات: الآية ٥٦] ومن أجل هذا فالإنسان مخلوق مكرم مفضل عند الله قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾ [الإسراء: الآية ٧٠] وقال: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤﴾ [التين: الآية ٤] ومن إكرامه له تسخيره له ما في السماوات وما في الأرض وإسباغه عليه النعم الظاهرة والباطنة قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾ [لقمان: الآية ٢٠] وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ [البقرة: الآية ٢٩] وذكر سبحانه كثيرًا من تلك النعم في سورة النحل التي تسمى سورة النعم.



وقد عهد سبحانه إلى بني آدم عهدًا ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [يس: ٦٠، ٦١].

وخلق الخلق ليبتليهم في هذا ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ [الملك: الآية ٢] فمن حفظ العهد وحسن عمله كان عند الله خير الخلق، وشكر الله سعيَه، وأحياه حياة طيبة وأعد لهم في الجنة ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾ [البيّنة: الآية ٧] وقال سبحانه: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: الآية ١٩] وقال تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ﴾ [النحل: الآية ٩٧]، وأما من نقض العهد ونسي ربه ويوم الحساب فهو عند الله شر الخلق ولم يبق له عند الله وزن، وجعل الله عيشه ضنكًا وحشره يوم القيامة أعمى، وأعد له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البيّنة: الآية ٦] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ﴾ [الحشر: الآية ١٩] وقال سبحانه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: الآية ١٠٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: الآية ٥٥]، وقال: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: الآية ٤٤] ولأجل أن يكون الإنسان مؤهلا لحمل تلك الأمانة (الخلافة في الأرض وعبادة الله تعالى وحده) فقد جعل الله له وسائل للعلم، ومصادر للمعرفة؛ بها يعرف ربه، وبها يميز بين الخير والشر والحسن والقبيح، من هذه المصادر المعرفية:

الفطرة: فإن الله تعالى فطر عباده على العلم به والاستسلام له والافتقار إليه دون سبب خارجي يرشدهم إلى ذلك؛ كالطفل أول ولادته يوضع الثديُّ في فمه يلتقمه ويرضع دون مرشد؛ قال الله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ [الرُّوم: الآية ٣٠] وهذه الفطرة ميزان يزن به الإنسان أفعاله وغيرها ويشعر بحكمها فإن فعل ما يوافق فطرته مثل (الصدق، مساعدة المحتاج، إكرام الضيف ونحو ذلك) شعر براحة وفرح، وإن فعل ما لا يوافق فطرته مثل: (الظلم، والكذب السرقة ونحو ذلك) شعر بألم وحزن، وهو معنى قول النبي ﷺ: «**الإثم ما حاك في الصدر**» ومن هنا سمِّي الخيرُ معروفًا والشر منكرًا قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٧، ٨]، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والإناة**»، قال: تخلقت بهما أم جبلني الله عليهما؟ قال: «**بل جبلك الله عليهما**». قال الحمد لله الذي جبلني على ما يحبه الله ورسوله، **وهذا يدل على أن الأخلاق منها فطري ومنها مكتسب.**

وبالفطرة يُدَلُّ الإنسانُ على مكارم الأخلاق ولهذا قال النبي ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» فأصول الأخلاق معلومة بالفطرة، وكذلك جاء النبي ﷺ ليبتغي العبدُ بحُسن أخلاقه وجه الله لأن حسن الخلق وإن كان خيرًا فإن العبد يُثاب عليه كذلك إن ابتغى به مرضات الله قال تعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النِّساء: الآية ١١٤].

بل إن الفطرة حتى في الحيوانات فالقطة مثلًا إن وضعت لها طعامًا أكلتْه بجوارك، وإن سرقَتْه هربتْ به بعيدًا.

لكن تلك الفطرةِ وإن كانت ميزانًا للمعرفة فهي قابلة للتَّغير والتّأثُّر قال النبي ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**».

وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: «**إني خلقت عبادي حنفاء كلَّهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم وأمرتْهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا**». وقال سبحانه: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ﴾ [فَاطِر: الآية ٨] وقد حصل ذلك التغير والانحراف عن الفطرة لا لأفراد فحسب بل لأقوام كما كان من قوم لوطٍ عليه السلام حين قالوا: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النَّمل: الآية ٥٦]، ولما قال مشركو قريش: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥﴾ [ص: الآية ٥] وهذا كثير.

إذًا فالفطرة قابلة للتغيير وكذلك فالمعرفةُ بها ليست تامةً شاملةً. فلا يزالُ الإنسان بحاجة إلى مزيد معرفة وإصلاح لما فسد من الفطرة.

ومن وسائل المعرفة: الحواس كالسمع والبصر ونحوها قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النّحل: الآية ٧٨].

وذكر أقوامًا لم ينتفعوا بهذه النعم محذرًا من فعلهم قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: الآية ٢٦]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسرَاء: الآية ٣٦].

❑ **والفؤاد:** هو آلة العقل والتفكر والتدبر والتفقه، فليس العقل آلة في جسم الإنسان كالعين والأذن، بل العقل عملٌ يقوم به القلبُ، تمامًا كالسمع عمل تقوم به الأذن قال تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ﴾ [الحَج: الآية ٤٦]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمَّد: الآية ٢٤]وقال تعالى: ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعرَاف: الآية ١٧٩] والعقل ميزانٌ في معرفة الخير والشر، ولا يُعد الرجل عاقلًا بمجرد معرفته للخير والشر، بل باتباع تلك المعرفة والعمل بمقتضاها قال تعالى: ﴿۞أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٤٤﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٤] وقال عمن علم الحق ولم يعمل به: ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ٤٤﴾ [الفُرقان: الآية ٤٤].

وقد جعل الله تعالى للعقل مكانة عظيمة فهو ميزان المعرفة ولا تكاد تخلو سورةٌ من القرآن من الحث عليه وما في معناه كالتفكر والتدبر والفقه والنظر والاعتبار وذكر (الحجر)، و(الألباب)، و(الأحلام)، و(النُّهى) وتُختم كثير من الآيات بمثل قوله: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السَّجدَة: الآية ٤]، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾، والحث عليه ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾ [المؤمنون: الآية ٦٨]، ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحَشر: الآية ٢] وأمر الله الإنسان أن ينظر ويتفكر في الآيات الكونية، والتكوينية، والقرآنية ليتبين له الحق قال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٩١]، وقال: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥﴾ [الطّارق: الآية ٥] وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ

فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾﴾ [النِّساء: الآية ٨٢]، ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

وأمره ربُّه أن يستعمل نظره وفكره وعقله بإنصاف ليصل إلى الحق، سواء بالتفكر في نفسه بمفرده أو بالبحث والمناظرة والمناقشة مع غيره قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ [سَبَإ: الآية ٤٦].

والعقل هو مناط التكليف وهو شرطٌ في قيام الحجة ويرفعُ القلم عن فاقده كما في الحديث: «**يرفع القلم عن ثلاث، عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يبلغ وعن المجنون حتى يفيق**»(١).

لكن العقل كأي وسيلة للمعرفة مثل البصر، والسمع، ونحوها له مجال محدود لا يتعداه فالعين مثلًا ليس من مجالها المسموعات، مجالها المرئيات، فالعقل كذلك ليس من مجاله الغيبيات في الماضي والمستقبل ونحو ذلك مما لا يدركه العقل، فإن أَعْمَلَ الإنسان فكره في غير موضعه تخبط وتحير كما حصل لكثير من المفكرين والفلاسفة وانتهى بهم إلى الإلحاد.

والعين مهما كانت قوية فإنها عند بُعدٍ معين لا ترى، فكذلك العقل له مجالٌ محدود، **وكذلك فالعقل قد يخطأ الظن** (كالذي أسرف على نفسه من بني إسرائيل وأمر أبناءه بإحراقه وتذريته ليعجزَ الله فلا يُجمِعُه، فقال الله له كن فكان) فهذا قد أخطأ في ظنه، وكالذين ظنوا أن الله يعلم العلانية ولا يعلم السر قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [فُصِّلَت: الآية ٢٢].

وكذلك يخيل للعقل الشيءُ على غير ما هو عليه كما حصل لنبي الله موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾ [طه: الآية ٦٦]، **وقد يرى الخير شرًا والشر خيرًا** كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٦]، ومثل صلح الحديبية كان عمر رضي الله عنه وكثيرٌ من الصحابة يرونها مهانة وقد كانت فتحًا مبينًا ونصرًا عزيزًا، وفي «البخاري» قال سهل بن حنيف: «اتهموا الرأي؛ فلقد رأيتنا يوم أبي جندل لو نستطيع أن نرد أمر رسول الله لرددناه».

وكذلك فالعقول متفاوته في الذكاء والقدرة على المعرفة، وكذلك فهي تختلف كثيرًا؛ هذا يستحسن ما يستقبحُه الآخر، ويرى الخير المحض في شيء يراه الآخر شرًا خالصًا، **فلأجل ذلك كله: (مجال العقل محدود، وقد يخطأ، والعقول متفاوته في القدرة على المعرفة وتختلف كثيرًا)** فلو تُرِك الحكم للعقل وحده لحصل شرٌ عظيم كما في قوله: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ﴾ [المؤمنون: ٧١]، فيبقى الإنسان بين ظنٍ في الأخبار واتباع للأهواء في تصرفاته **لذلك جعل الله تمام الاهتداء بالوحي فهو**

(١) نقل ابن تيمية تلقي الأمة له بالقبول في كتاب «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان».

الهدى والنور قال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النّجم: ٢٣].

وأمر سبحانه أن يكون المَرَدُّ إلى حكمه عند التنازع والاختلاف ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [الشّورى: الآية ١٠]، ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

وأذكى الناس عقولًا وأزكاهم نفوسًا وأحسنهم قصدًا هم رسلُ الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٤]، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ﴾ [القصص: الآية ٦٨].

ومع هذا فليس اهتداؤهم بمجرد ذلك بل بفضل من الله وبوحي من الله قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النّور: الآية ٢١] وقال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الأنعام: الآية ٧٧] وقال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ عنه وعن آباءه: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [يُوسُف: الآية ٣٨] قال الله للنبي محمد ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشّورى: الآية ٥٢] وقال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضّحى: ٧] قال سبحانه: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النّساء: الآية ١١٣] وكان ﷺ يرتجز ويقول: «اللهم لولا أنت ما اهتدينا» بل أمر الله نبيه ﷺ أن يبين ذلك للناس: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ﴾ [سَبَإ: ٥٠] وإنما فُضّل الأنبياء بالوحي ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الكهف: ١١٠].

والعقل له دور عظيم مع الوحي:

فبالعقل والتفكر والتأمل والنظر والاعتبار يتحقق الإنسان من صدق النبوة وصحة الوحي كما في مثل قوله: ﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ﴾ [سَبَإ: الآية ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النّساء: الآية ٨٢] فأمرهم بالنظر والتدبر والتفكر ليتحققوا من صحة وصدق الوحي وأنه من عند الله تعالى، وقال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ﴾ [فُصّلَت: الآية ٥٣] ولهذا أقام النبي ﷺ الحجة على قومه أول يوم بمثل ذلك قال: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِى تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ**». قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلاَّ صِدْقًا. قَالَ: «**فَإِنِّى نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**».

وقد أيّد اللهُ سبحانه رسله ببراهين لصدقهم قال النبي ﷺ: «**مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ مِنْ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ**» وتأمل هذا المعنى في قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع السحرة: فقد وعظهم أولًا: ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [طه: الآية ٦١] فلم يؤمنوا وجاؤوا معتزين بعزة فرعون طالبين الأجر منه، فلما رأوا الآية خرّوا لله سجدًا وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٢١] وتوعدهم فرعون بالعذاب الشديد: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ﴾ [طه: الآية ٧٢].

وبالنظر في أحوال النبي ﷺ وخلقه توصلت أم المؤمنين خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى صدق نبوته قالت: (والله ما يخزيك

الله أبدًا، إنك لتحمل الكلَّ، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق)، ولم تكن قد سمعت شيء من الوحي، وإنما علمت ذلك بعقلها وفطرتها ﵂.

وبعدما طرح هرقلُ أسئلةً على أبي سفيان عن حال النبي ﷺ وأخلاقه وهديه ودعوته توصل إلى صدق نبوته.

❐ وبالبحث والنظر كذلك يتوصلُ المجتهدُ إلى صحة نسبة الحديث إلى النبي ﷺ أو عدم صحة ذلك.

فإذا تحقق صدق وثبوت النقل (الوحي) **جاء دور عظيم آخر للعقل مع الوحي وهو التدبر والاعتبار والتفقه والاستنباط منه** قال النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين**». وقال ﷺ: «**إذا إجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا إجتهد فأخطأ فله أجر**».

والوحي إما أن يأتي بشيء مما هو من مجال العقل فهو لا يمكن أن يتعارض معه ما دام النقل صحيحًا والعقل سليمًا. بل الوحي كلما بحثت فيه وتفكرت وتأملت ازددت يقينًا في كونه صدقًا ووحيًا من عند الله لذلك أمر سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: الآية ٨٢]، وقال: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ [سبأ: الآية ٤٦] وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ: الآية ٦] وقوله: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ﴾ [النور: الآية ٣٥].

وتأمل هذا بمثال: قول النبي ﷺ: «**إن الصدق يهدي إلى البر**»، وقوله ﷺ: «**وإن الكذب يهدي إلى الفجور**»، وأمره ﷺ بالعفة والأمانة وصلة الأرحام، ونهيه عن الغش والخيانة ونحو ذلك، فهو مطابق للعقل السليم والفطرة الصحيحة فيكون العلم قد جاء من جهتين، ومن ذلك لما سمع جبير بن مطعم قوله ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: الآية ٣٥] قال: كاد قلبي يطير، ودخل الإسلام، ولما تعجب بعض الكفار من إحياء الله للعظام وهي رميم قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾، وكذلك في جدال إبراهيم ﵇ لأبيه آزر: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا﴾ فهذه أدلة عقلية على بطلان عبادة الأصنام، ومن أمثلة ذلك ما أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: «أن شابًا قال للنبي ﷺ: إيذن لي بالزنا؟ فقال له النبي ﷺ: «**أترضاهُ لأمك؟.. أترضاهُ لأختك؟.. أترضاهُ لابنتك؟...**» الحديث. فهذه أدلة عقلية مع أدلة الوحي على قُبح الزنا.

وقد يكون بالتجربة كما يبحث العالم في معنى حديث: «**إذا سقط الذباب في إناء أحدكم فليغمسه فإن في أحد جناحيه داءٌ وفي الآخر دواء**» فهو وإن كان بمجرد صحة الخبر عن رسول الله ﷺ يصدق ويؤمن، لكنه إن علمه بالتجربة لا شك يزداد إيمانًا وهو معنى قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: الآية ٥٤] وهو معنى قوله الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ﴾ [البقرة: الآية ٢٦٠] هل إيمانك بذلك موقوف على رؤيتك؟

﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٦٠] وقريب منه قول الحواريين: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ [المَائدة: الآية ١١٣]، وهكذا دين الإسلام كالذهب الخالص كلما امتحنته ازددت فيه يقينًا، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثِۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

أما إذا جاء الوحي بشيء مما لا يدركه العقل مما ليس من مجاله وحدوده كالإخبار عن الغيب ونحوه مثل نعيم الجنة «**قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين؛ ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»، وفي القصص والأخبار: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا﴾ [هُود: ٤٩]. وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ﴾.

فمثل هذا يجب قبوله لأن الإنسان بعقله ونظره علم صدق النبي ﷺ فلذلك يؤمن بخبره عن الغيب، وتأمل حديث النبي ﷺ لما ذكر لأصحابه بقرةً تتكلم، قالوا: سبحان الله، قال: «**فأنا أومن بذلك**» مع أن النبي ﷺ لم يرى ذلك، وقال: «**وأبو بكر وعمر**» ولم يكونا في ذلك المجلس، وكان شعارهما (إن كان قالها فقد صدق) **لاحظ: فقبول الخبر معلق على مجرد ثبوته عن النبي ﷺ، فإذا أخبر** ﷺ مثلًا عن الله سبحانه «أنه ينزل إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الآخر...»، و«أنه سبحانه في السماء»، و«أنه سبحانه على العرش استوى» ونحو ذلك من الغيب وجب القبول ما دام النص ثابتًا، والعقل قبل ورود الخبر لا يمنع، ولكنه متوقف؛ فإذا جاء دليل صحيح وجب على العقل القبول «**فانتفاء الدليل المعين لا يستلزم انتفاء المدلول**».

ولن يتم إيمان العبد برسول من رسل الله عليهم السلام إلا أن يؤمن بخبره عن الغيب، لذلك لم يُقبل إيمان من عاينوا العذاب قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥]، ولم يَقبل اللهُ إيمانَ آزر (أبي إبراهيم عليه السلام) عند قوله لإبراهيم يوم القيامة: «**فاليوم لا أعصيك**»، وكذلك فرعون: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يُونس: الآية ٩١] **فالإيمان هو: أن تأتمن المخبر على خبره**، وإلا فلو توقَّفَ إيمانُك بخبره على رؤية ذلك الخبر بنفسك فلا يسمّى ذلك إيمانًا ولا يكون النبي حينئذ طريقَك لتلك المعرفة، ولهذا أخذت اليهودَ الصاعقةُ لما قالوا لموسى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البَقَرَة: الآية ٥٥].

فإذًا: لكونك قد علمت بالنظر والتأمل والاعتبار ورؤية الآيات صدق النبي ﷺ فليكن منهجك **(إن كان قالها فقد صدق)**.

هكذا أيها الأخوة فمصادر المعرفة تتكامل ولا تتعارض إذا استعملت كلًا منها في مجاله وحدوده:

والعقل مهما كان ذكيًا لن يهتدي به الإنسان بدون الوحي كما قال النبي ﷺ بأمر ربه: ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا

يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓۚ﴾ [سَبَإ: الآية ٥٠]، وكذلك الوحي إن لم يكن المستمع عاقلًا مريدًا للهداية قال تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يُونس: الآية ١٠١] وقال عن القرآن ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسرَاء: الآية ٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ﴾، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾ [يُوسُف: الآية ١١١] لكن لمن؟ ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٩٠] وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ﴾ [يُوسُف: الآية ٧] لمن؟ ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ٧] ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ﴾ [العَنكبوت: الآية ٤٣] لكن مع كونها مضروبة للناس جميعًا قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العَنكبوت: الآية ٤٣].

والعين مهما كانت درجة إبصارها عالية فلن يرى صاحبها في الغرفة المظلمة، وكذلك لو كانت الشمس ساطعة والرجل أعمى، ومن هنا تعلم أن العقل والوحي يتكاملان ولا يتعارضان وتفهم لماذا قال مخالفوا الرسل ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [المُلك: الآية ١٠].

ولئن كان من يفرضُ التعارض بين العقل والنقل مخطئًا، فلا يقل عنه خطأً من يُقدم أحدَهما على الآخر.

فالوحي هو النور وبه الهداية وبراهينها والفرقان بين الحق والباطل ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٥] وقال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنعَام: الآية ١٢٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسرَاء: الآية ٩] ولأجل ذلك أمر الله تعالى نبيه الكريم ﷺ أن تكون استقامته بالوحي ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هُود: الآية ١١٢] ودعوته كذلك ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ﴾ [الشّورى: الآية ١٥] وإنذاره ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ﴾ [الأنعَام: الآية ١٩] وتذكيره ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ [ق: الآية ٤٥] وحكمه بين الناس ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المَائدة: الآية ٤٩] وحذّر نبيه ﷺ من مخالفة الوحي أو كتمانه ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٤٥]، وقال تعالى: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾ [المَائدة: الآية ٦٧]، وهذا حكم معلق بشرط، «**وتعلق الحكم على شرط لا يستلزم وقوعه**»؛ بل غايته بيان للحكم على تقدير وقوع الشرط كما في قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ﴾ [الأحزَاب: الآية ٣٠]، وقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ﴾ [الأنبيَاء: الآية ٢٢] وهذا كثير جدًّا[1] المراد منه بيان الحكم على هذا التقدير؛ لكنه كذلك يكون لحِكم وفوائد يدل عليها السياق فمثلًا قوله

---

(١) في مثل قوله تعالى:
﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٥].
﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعَام: الآية ٨٨].
﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ﴾ [الزُّمَر: الآية ٤]. =

تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ﴾ حكمٌ لم ولن يقع لكن الفائدة منه بيان أن النبي ﷺ ممتثلٌ لأمر الله فلو كان لله ولد يُعبد لكان أول من يعبده، وفي قول النبي ﷺ: «**لو سرقت فاطمة لقطعت يدها...**» فيه تعظيم حدود الله، وهكذا في كل حكم عُلق على شرط لم يقع.

والله سبحانه أوجب على كل نبي أن يكون دليلًا لقومه ناصحًا أمينًا كما في الحديث: «**لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدلَّ أمته على خير ما يعلمه لهم وأن ينذرهم شرَّ ما يعلمه لهم**» وقد قام الأنبياء عليهم السلام بذلك خير قيامٍ فنصحوا ورغبوا ورهبوا وأرشدوا بما أوحي إليهم، وخاتمُهم محمد ﷺ سيدُ ولدِ آدم قد أدى الأمانة وبلَّغ الرسالة، وقد استشهد أصحابه في حجة الوداع على البلاغ فشهدوا فأمرهم: «**ليبلغ الشاهد منكم الغائب**»، وقال: «**احفظوه وأخبروه من ورائكم**»، كما أعلمهم الله تعالى أن برهان محبته اتباعه ﷺ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: الآية ٣١] وبه الهداية ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النور: الآية ٥٤] وقد أكمل اللهُ سبحانه لنا الدين وتممه ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: الآية ٣] ونزلت هذه الآية يوم الجمعة في حجة الوداع وتوفي النبي الكريم ﷺ بعدها بحوالي إحدى وثمانين ليلة، وهذه الآية نصٌ صريح في أن دين الإسلام لم يترك شيئًا يحتاج إليه الخلق في الدنيا والآخرة إلا بنيّة وذكر الحق فيه ودل على المنهج الصحيح تجاهه وهو شرعُ من خَلَقَ الإنسانَ وهو أعلم به من نفسه ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ﴾ [الملك: الآية ١٤] ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ﴾ [الإسراء: الآية ٥٤] وهو منهج شامل للتوحيد والإيمان والعبادات والمعاملات والأخلاق والحكم والسياسة والاقتصاد وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله في الدروس القادمة.

وقد قال عمر رضي الله عنه كما في البخاري: (قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا فذكر بدأ الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه) ومن المحال أن يكون ﷺ علمنا كل شيء حتى أدق الأمور كآداب قضاء الحاجة، ولا يكون قد علمنا مقومات بناء الدولة وشئون السياسة والاقتصاد والحكم، وسنته وسيرته ﷺ فيها بيان كل ما يحتاجه الفرد والمجتمع وأمره الله تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: الآية ١٠٥] وحذر ﷺ من الاهتداء بغير هدية مهما كانت نية العبد صالحة كما في حديث (الثلاثة نفر) وقد وقعوا في ذلك فقال ﷺ: «**أما أنا أقوم وأنام وأصوم وافطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فوالله لأنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية**» ثلاث جملٍ بها الهداية والرشاد.

وقال تعالى: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾، وقد أمر الله سبحانه رد الخلاف إليه ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: الآية ١٠]، وقوله: «**من شيء**» عام لا يخرج عنه شيء، فحكمه

= ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ﴾ [يونس: الآية ٩٤].

وقد تكلف جماعة من المفسرين توجيه مثل هذه الآيات ظنًا منهم أن تعلق الحكم بشرط يستلزم وقوع الشرط، وهذا غلط: بل تعلق الحكم على شرط لا يستلزم وقوعه.

هو العدل وخبره هو الصدق ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: الآية ١١٥]، وقال: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: الآية ٥٠].

فعلى قدر العلم والعمل بسننه وهديه ﷺ يكون الاهتداء والعز والتمكين والحياة الطيبة والبركات قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عِمران: الآية ١٣٩]، وقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النّور: الآية ٥٥]، وقال: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النّحل: الآية ٩٧]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: الآية ٩٦] ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمَّد: الآية ٧].

وقد رأى المسلمون هذا النصر والتمكين والعز والبركات بأعينهم وعاشوا هذا كله لما حققوا شروطه، **ومهما كان من خلل ونزاع وشقاق وضعف وتأخر في المسلمين فسيبقى الاهتداء والتمكين منوط بـ(كتاب الله وبيان النبي ﷺ)** ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النّحل: الآية ٤٤]، ومهما ابتغينا العزة في غيرها أذلنا الله ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم: ٨١، ٨٢].

لكنّ أعداء الإسلام على اختلافهم منذ أن بعث الله محمدًا ﷺ وهم يخططون ويدبرون لإطفاء نور الله، والله متم نوره، ويبذلون كل ما لديهم من قوى مادية وبشرية وفكرية للصد عن سبيل الله قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ﴾ [الأنفال: الآية ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البَقَرَة: الآية ١٠٩] ولا زالت المعركة مستمرة ولن تزال ما دام على الأرض من يدين الإسلام قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٧].

وجاهل مخدوع من يظن أن حاضر الكفار يخالف ماضيهم أو أن آتيهم خيرٌ من حاضرهم، هم، هم، وكل أمر مستقر قال تعالى: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [المُمتحَنَة: الآية ٢] فلا ينقمون منّا إلا الإيمان، ولن يرضوا منا إلا أن نكفر بالله قال تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النِّساء: الآية ٨٩] وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

نعم قد يرفع الكفار في حربهم مع المسلمين راية غيرَ الدين ليُموّهوا على المسلمين هدفهم وليطفوا شعلة الإيمان في قلوبهم، كما فعلت أمريكا في غزوها للعراق وأفغانستان، زعمت أنها ما أتت لحرب المسلمين، وإنما جاءت لمحاربة التطرف والإرهاب، وكسر الأنظمة المستبدة، ونشر االعدل والحرية والسلام (يُسقون السمَّ ويقسمون أنه ماء الحياة) فكانوا كإبليس الذي سمي «شجرةَ المعصية» شجرةَ الخلد، وأقسم أنه ناصح أمين. والواقع شاهدٌ: احتلوا الأرض وذبحوا الأطفال والنساء وانتهكوا الحرمات ونهبوا الثروات ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ١١] وتتعجب حينما ترى كثيرًا من المسلمين إلى الآن

ينادي بتدخل أوروبا وأمريكا في شئون بلادنا لنشر العدل والحرية ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [النِّساء: الآية ٥١]!!!.

مع أن الرئيس الأمريكي السابق أعلنها صراحة فقال: (ستكون حربًا صليبية وسأقاتل حتى ترفع راية الصليب ومن ليس معنا فهو علينا).

لكن أيها الأخوة:

الحربُ ليس محصورًا في الهجوم المسلح والجيوش العسكرية واحتلال الأراضي، ثَم حربٌ أشد خطرًا وأخفى مسلكًا ليس فيها احتلال أراضي ولا جيوش عسكرية ولا هدم للمساجد ولا تمزيق للمصاحف، وإنها الحرب الفكرية.

لقد أسس المسلمون دولة قوية نشرت الإسلام من حدود الصين شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا ومن أسوار فيينا شمالًا إلى وسط أفريقيا جنوبًا، سلاحهم الدعوة بأخلاق النبي ﷺ وهديه، على حد قول الشاعر:

حملنا به للناس منك رسالةً ... مددنا به للفتح أضلاعَنا جسرًا
زحفنا به نغزو القلوب سلاحنا ... كلام من القرآن نحمله فكرا
وصلنا حدودَ الصين في كل ... ملحمةٍ يعانقنا نصرٌ فنتبعه نصرا
وما تعبت يومًا سرايا جهادنا ... إذا اقتحمت برًا وإن ركبت بحرًا
فَسَلْ تُونُسَ الخضراء زيتونَ أرضها ... وسل قيروان الفاتحين وسل مصرا
أليس بحد الحبِّ رقت قلوبُها ... فجاءت إلى الإسلام أفواجُها تترا
وليس بحد السيف فالسيف آلة ... إذا عافها الإيمان أدمنت الشرا
وكانت وصاياك الدليلَ لزحفنا ... فلا تهدموا دارًا لوا تطعنوا غدرا
ولا تقطعوا زرعًا ولا تسلبوا فتى ... ولا تقتلوا شيخًا ولا أمة خيرى
إذا كان للأخلاقِ في الحرب سيدٌ ... فإنك للأخلاق سيدُها طُرا
عجيب هو الدينُ الذي جئتنا به ... وأعجبُ ما فيه سماحتُه حصرا
فأي كريم من الخلق كلهم ... مقابل حرف واحدٍ أطلق الأسرى

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

أيها الإخوة:

أمام هذا الامتداد العظيم نظر الكفار إلى حربهم مع المسلمين العسكرية فرأوها خاسرة: وكَبَّدَتهُم الخسائر الفادحة، وأفنت شبابهم وهم أحرصُ الناس على حياة، يود أحدهم لو يعمر ألف سنة، ثم فكروا في سر عظمة تلك الأمة ومنبع قوتها رغم قلتهم وضعفِ عدتهم أمام جيوش الأعداء، وجعلتهم يفتحون البلاد والعباد، ويحرص الواحد منهم على الموت في سبيل الله كما يحرص الكفار على الحياة يُقتل الواحد منهم فيقول: (فزت ورب الكعبة).

فعلم الكفار بل تيقنوا أن سلاحنا (الإسلام)، وأيقنوا أننا مادمنا مستمسكين بالإسلام الحق فلن نُغلب، فمن ها هنا أجمعوا كيدهم وأمرهم لغزو المسلمين فكريًا ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ [النِّساء: الآية ١٠٢].

من أجل ذلك جنَّدوا جنودهم الفكرية، وتعلموا اللغة العربية، وترجموا العلوم الإسلامية، ودرسوها ثم وضعوا خُططًا تكاد تعجز الشياطين أن تأتي بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، خططٌ يضمنوا بها السيطرة على عقول المسلمين وأفكارهم وميولِهم وتطلعاتِهم من خلال غزو فكري منظم ﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سَبَإ: الآية ٣٣] عبر قنواتٍ وشبكاتٍ وإذاعاتٍ وصحفٍ ومجلاتٍ استحوذ عليه المفسدون، وأنفق عليها الحاقدون، وللأسف الشديد دخل كثير من الشباب «حجرَ الضب» خلف اليهود والنصارى ومنافقي الأمة.

من ذلك ما سمعناه ورأيناه في الأيام الماضية - ولا زلنا - من نداء كثير من مفكري العرب وشباب المسلمين من أن تكون مصرُ دولة ليبراليةً أو علمانيةً أو مدنيةً، وأنا لا يعنيني كثيرًا مفكرو العرب فإن كثيرًا منهم جنّدهم الكفار وركبوهم ليفتحوا بهم ثغور المسلمين، أراد العدو منهم أن يكونوا له عينًا فكانوا له عينًا ولسانًا وشفتين، أرادوا منا أن ننغمس في مستنقع الغرب بمره وشره، ويا ليتهم جلبوا لنا ما أحسنه هؤلاء وتقدموا فيه، والله ما يجلبون منهم إلا الرزائل، يحملون بيدٍ رايةَ التصحيح وبالأخرى فأسًا يهدمون به الدين الصحيح، فهم أذنابهم يسارعون فيهم، يستعملهم الغرب لمصلحته يستقطبهم إلى بلاده لينسلخوا من دينهم ويُحمّلوا بأفكار شيطانية، ثم يبعثهم الغرب ليقوموا بأدوار محددة ومعلومة، وتُلمّع تلك الشخصيات المبعوثة بجوائز وألقاب ليُقبل كلامهم ثم يرجعون إلى بلادهم ليتقيئوا ما كلّفهم به أسيادهم، ثم إذا انتهت مهمتهم يرمونهم غير مأسوف عليهم.

وإنما يعنيني شبابُ المسلمين كيف آل بهم الحالُ إلى أن ينادوا بأن تكون دولتنا علمانية ليبرالية؟ والذي يظهرُ لي - والله أعلم - أنهم بين أمرين: كثير من هؤلاء الشباب لا يعرف من هذه الألفاظ إلا الشعارات التي ترفعها مثل (الحرية - العدالة الاجتماعية - التطور - التحرر من الظلم - التعددية)، ونحو ذلك لكن ثم صنف آخر يعلم تفاصيلها وما فيها من الباطل لكنه مع ذلك يظنها الحل الوحيد لتحقيق التقدم والحرية والعدل، والمخلص الوحيد من التخلف والاستبداد.

ولم تكن تلك النتيجة التي وصل إليها هؤلاء الشباب اجتهادًا فرديًا ولا دعوة عفوية بل هو مخطط له أهداف ووسائل وخطوات قام بها عملاء الغرب:

أول خطوة في ذلك المخطط أن ينقلوا للشباب العربي المسلم صورتين:

أما الصورة الأولى: صورة المجتمع الأوروبي، ويسلطون الضوء على ما فيه من مظاهر التقدم مثل التقدم الصناعي والطبي وتنظيم الخدمات، واحترام لحقوق الإنسان ونظافة في شوارعه، واعتناء بالأطفال والنساء، ولا شك أن ما عندهم من خير لا مانع أن نتتفع به ولا ننكر أنهم قد تقدموا في كثير من المجالات ونحن أولى به منهم، وديننا يحث على كل إصلاح، وهم كانوا في قمة التخلف «في القرون الوسطى» في الوقت الذي كان فيه المسلمون في قمة الحضارة والتقدم، لكن الصورة المنقولة ليست صادقة بكل ما فيها، فهم لا ينقلون ما يعكر تلك الصورة - وهو موجود وبكثرة - مثل تُجار المخدرات وعصابات المافيا وساحات الدَّعارة والشذوذ الجنسي والانتحار ونوادي القمار والخمور وغيرها كثير من الانحطاط الأخلاقي.

وكذلك يجعلون من مظاهر التقدم أسلحة الدمار الشامل التي يُبيدون بها شعوبًا بأكملها، والازدواجية: ومن صورها: الفرق بين ما يعاملون به أهل بلدهم وبين ما يعاملون به غيرهم أو من يحتلون بلادهم، بل أقول إنهم والله يعاملون الحيوانات عندهم أفضل مما يعاملون به من يحتلون أرضهم، فهم لا يحترمون كل إنسان وإنما يحترمون أبناءهم، ولا يرحمون أطفال ولا شيوخ ولا نساء المسلمين في كل ما تسلّطوا عليه من بلادنا والواقع شاهد على ذلك ومن تناقضهم أنهم ينادون بالحريات الشخصية: وقد قامت أوروبا كلها ولم تقعد من أجل حجاب لبسته فتاة مسلمة!!.

فنحن لا ننكر أنهم قد تقدموا في مجالات، لكن الذي ننكره أن يُظن أنهم تقدموا في كل شيء (فكثير من الأخلاق الحسنة - كالكرم والعفة والغيرة على المحارم ونحو ذلك - لا تكاد تجدها، وهم متفقون على أن تقدمهم مادي ولا يعيشون إلا للدنيا وأكثرهم مُلحد، وأي باحث في شئون المجتمع الأوروبي يعلم أنهم إلى الآن يعيشون صراعًا بين الدين والعلم فلا تكاد تجد عالمًا عندهم إلا وهو ملحد، ولا متدينًا إلا ويعيش رهبانية مبتدعة، وحتى من يدخل منهم إلى الإسلام يختار التصوف لأنه - كما يزعمون - دين روحاني(١) يحاول أن يتخلص به من المادية التي يعيشها هذا المجتمع فيتنقل من الكفر للبدعة، وربما إلى الشرك، كما أنهم يُشعرون غيرهم بأن كل أفراد شعبهم متقدمون، وهذا باطل؛ بل لا يوجد مجتمع على الأرض منذ خلق الله الخلق كل أفراده هكذا.

الصورة الثانية: بعدما يتحقق الانبهار من كثير من شباب المسلمين بهذا المجتمع الأوروبي، يبثون الصورة الأخرى: صورة المجتمع العربي المسلم ويُسلطون الضوء على السلبيات فيه، ولا شك أنها كثيرة، ونحن لا ننكر

(١) وهذا ما يحاول «طارق حجي» وأمثاله نشره من خلال الكتب واللقاءات التليفزيونية: أن الإسلام دين روحاني فلا يصح أن نقحمه بالحكم أو السياسة أو الاقتصاد.

ذلك، كما أنهم أهم ما يريدون بثَّه هو ظلم المجتمع المسلم للمرأة، ويقارنوها بالمرأة الأوربية المتحررة التي تلبس كما تشاء أو إن شئت قل: «**تخلع ملابسها كما تشاء**»، ولا يذكرون أي خير في المجتمع العربي وكأنه ليس فيه إيجابيات وليس عنده كوادر أو علماء أو كفاءات، «وهم يوقنون أن العرب المسلمين عندهم كفاءات وكوادر، بل يستقطبون كثيرًا منهم لينتفعوا بعلمهم وخبرتهم، في الوقت الذي يحارب فيه هؤلاء الكفاءات في بلادهم العربية مما يحملهم على الهروب بأفكارهم ومشروعاتهم إلى من يقدِّرهم»؛ بل ويُسهِّل عليهم ذلك كثيرٌ من العرب المسلمين الذين يخرجون أفلامًا ومسلسلات ومسرحيات يبثون فيها صورة المجتمع العربي المسلم على أنه مجتمع تطرف وإرهاب وكله جرائم ومخدرات ودعارة، كل تلك الصور عبر قنوات وشبكات ومجالات وصحف.

ثم تبدأ المرحلة الثانية:

مرحلة التحليل: وتبدأ بتشخيص سبب التقدم لأوروبا منذ الثورة الفرنسية وحتى الآن، فالإجابة: إنها العلمانية والإلحاد حيث أنهم كانوا في حكم الكنيسة في القرون الوسطى، يعيشون ظلمات الانحراف الديني والاستبداد السياسي والتخلف الحضاري في كل المجالات.

فقالوا: لما منعنا تَدَخُل الدين في كل شئون الحياة تقدمنا. وكذلك فالإلحاد في الصين واليابان كان عاملًا أساسيًا في التقدم، وأما سبب تخلف العرب فهو تديُّنهم، فتمسكهم بالدين هو العامل الأساسي لتخلفهم، فعلى كل من أراد التقدم أن يتخذ من أوروبا نموذجًا في الإلحاد والعلمانية.

ونحن وإن كنا نوافق على أن مجتمعنا العربي المسلم بحاجة إلى الإصلاحات في مجالات كثيرة لكننا نخالف هؤلاء المفكرين في تصور المشكلة، وتحليل السبب، وتشخيص العلاج، وطرق تنفيذه.

فأولًا: عاش المسلمون عزَّهم وشرفهم وحضارتهم بسبب تمسكهم بدينهم واحتكامهم إليه سياسيًا واقتصاديًا وأخلاقيًا، وعلى قدر بعدهم عن دينهم حصل لهم من التأخر والانحراف أما هؤلاء المفكرون فيجعلون تمسكنا بديننا هو سبب التخلف، وهذا غلط من وجهين فلا نحن متمسكين حقًّا بديننا، ولا هو سبب التخلف بل هو أعظم سبب للتقدم والرقي كما سيأتي إتفصيله إن شاء الله.

وكذلك فهم يقيسون دين الإسلام على دين الكنيسة المحرف الذي حكم أوروبا في القرون الوسطى وتحكم فيهم رجال الكنيسة، وأمروهم أن يؤمنوا بخرافات وتحريفات وبدع وشركيات، وأكلوا أموالهم بالباطل باسم صكوك الغفران، وحرموا عليهم الطيبات من النساء والطعام والشراب والمسكن والملبس كل هذا باسم الرهبانية، وأمروهم أن يتوبوا إليهم ويعترفوا بذنوبهم أمامهم باسم السلطة الكهنوتية، وقهروا وقتلوا وحرقوا كل من خالفهم باسم محاكم التفتيش، وحاربوا العلم والعلماء والتطور تحت خلفية أنه على قد استمتاعك بالدنيا تحرم من الجنة، وأكثر من ذلك، فهرب الأوروبيين من تلك الانحرافات وذلك الطغيان السياسي، ولم يكن همهم

إلى أي شيء يهربون؟ بل كيف يهربون؟ فاختاروا العلمانية والإباحاية مقابل التدين.

أما دين الإسلام فهو (دين العدل والإحسان والبر وحسن الخلق، ودين الرحمة، لا سلطان لأحد فيه على أحد إلا حكم الله تعالى فالعلماء وأئمة المسلمين بل والأنبياء لا يملكون التشريع ولا تبديله بل هم عباد مأمورون وإذا أخطأ عالم أو إمام أو حاكم - وهم ليسوا معصومين - رد قولهم، وهو دين يشجع على التقدم والنظافة والنظام والإصلاح، فالله جميل يحب الجمال ويأمر بالإصلاح وينهى عن الفساد ويحب المصلحين ولا يحب المفسدين. وتفصيل ذلك سيأتي إن شاء الله تعالى.

وإن كان كثير من المسلمين لم يطبق دينه في أخلاقه ومعاملاته وكان مثلًا سيئًا للإسلام؛ فلا يصح أن يحكم على الإسلام من خلال المسلمين بل ننظر في الكتاب المحفوظ وبيانه من هدي النبي ﷺ ثم نحكم.

لكن أهم وأخطر ما أريدُ أن أنبه عليه: أن المفكرين الأوروبين وأذنابهم من العرب اتخذوا أسلوبًا خفيًا لنشر الليبرالية والعلمانية في بلاد المسلمين هو (الغزو من الداخل)، علموا أن المسلم لا يترك دينه بسهولة حتى وإن علَّقتَ له التقدم والرقي على ترك دينه، بل سيرفض مشروعك وسيقاومه بشدة.

ففكروا في تأصيل مبادئ الليبرالية والعلمانية من داخل التراث الإسلامي، وقال أحدهم: لتكن لكم نعومة الأفعى في طرح تلك الأفكار على المسلمين فإنهم لا يتركون دينهم بسهولة، فقدموا مشروع (الإسلام الليبرالي) يحاولون فيه أمرين.

أولًا: محاولة الاستدلال من داخل التراث الإسلامي لفكرة فصل الدين عن كل شئون الحياة (السياسة، الاقتصادية، الأخلاقية) وحرية الانتقال من دين إلى آخر ونحو ذلك.

ثانيًا: أن يدفعوا معارضة الآيات والأحاديث التي تناقض قولهم.

فلا شك أنهم سيحرفون القرآن ليوافق مذهبهم، ولا يعارضه.

وبالنسبة للحديث فهم لا يعتمدون السنة أصلًا، ويمكرون ليلًا ونهارًا عبر قنوات وشبكات وصحف ومجلات للتشكيك في الاحتجاج بالسنة[1].

وأضرب لك مثلًا في الاستدلال لفكرة الديمقراطية بكل تفاصيلها ومنها ألا يكون الحكم للشرع يحتجون

---

(١) وتُبث فكرة الإسلام الليبرالي عبر بعض القنوات مثل: (on Tv لرجل الأعمال النصراني (نجيب سويرس) والذي يعتني كثيرًا بفكرتين: ١- ترويج فكرة الإسلام الليبرالي. ٢- فصل دين الإسلام عن الحكم والسياسة، ودريم، والحياة، وحلقات من برنامج «مصر النهارده» ومن دعاتها: (محمد عابد الجابري - نصر أبو زيد - حسن حنفي - وعمار علي حسن وله برنامج في قناة دريم «في سبيل الحكمة» مخصص لإبطال الاحتجاج بالسنة حتى أنه وصل إلى نتيجة وهي: أن تلك الروايات المنقولة في كتب السنة وحتى «الصحيحين» موضوعة في القرن الثالث الهجري وهي أحاديث تسيئ للإسلام - طارق حجي - وجمال البنا) وغيرهم.

يقول الله تعالى: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشّورى: الآية ٣٨].

ولا شك أن هذا الاستدلال باطل لأن الديمقراطية ليست فقط الشورى بل فيها مبادئ أخرى تناقض الإسلام وإن كثيرًا من المسلم ينطق بها وهو لا يعلم عنها إلا أنها الشورى والعدل.

ومثلًا فكرة فصل الدين عن كل شئون الدنيا يذكرون حديث النبي ﷺ: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**» وسيأتي إن شاء الله بيان بطلان ما فهموه منه «أقصد ما يريدون أن يفهموه منه»، وإذا ذكرت لهم أن للإسلام أحكامًا تخالف مبادئ الليبرالية قالوا: كانت تلك الأحكام مناسبة للمجتمع البدوي الترابي - على حد تعبير (طارق حجي) - أما الآن مع التقدم فلا تناسب تلك الأحكام مجتمعاتنا ونحن لا نعادي التدين الشخصي: اعبد ربك كما تشاء في المسجد في المعبد في الكنيسة فإذا خرجت فلْتتعامل بما تراه نافعًا، وهل يعقل أن ترد صفقة بمليون جنيه على أنها ربًا ومحرم؟ وإذا جاء لحد الردة - وهو يناقض مذهبهم الذي يبيحون فيه أن يتقلب الإنسان في الأديان والمذاهب كما يشاء «وهذا أحد أهم المسالك لصد المسلمين عن دينهم وطريقة معروفة للكفار قال تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾.

والإسلام لا يُكره أحدًا على الدخول فيه، ولا يمكن ذلك فالإيمان في القلب ولن يقدر أحدٌ على إكراه أحد على الإيمان بما لا يريد أن يؤمن به لذلك قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ لكن إذا دخل في الدين لا يحل له أن يرتد عنه.

أما أصحاب الإسلام الليبرالي فيقولون: الإسلام يبيح الكفر بعد الإيمان، فهذه حرية شخصية ويحتجون لذلك بقول الله ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: الآية ٢٩] وهذا استدلال غلط وإنما معنى الآية: أن النبي ﷺ إذا قام بالبلاغ المبين فقد أدى ما عليه ولا يضره بعد ذلك من أصر على كفره وهذا معنى قوله: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: الآية ٢٩]، كقوله: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٧٢]، وقوله: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المَائدة: الآية ١٠٥].

وإذا ذكرتَ لهم الحديث الصحيح: «**من بدل دينه فاقتلوه**» قالوا: هو ضعيف هكذا دون أي دليل ولا مستند للتضعيف أو التصحيح، وهكذا أدلتهم كلها (قصٌ ولصق) في تقريبهم بين الإسلام والليبرالية.

ولا شك أن هؤلاء إذا قرأوا تاريخ الإسلام بما فيه من التمكين للمسلمين والانجازات والفتوحات يقرءونه بطريقة لا تجعل للدين فيه مدخل ويقول أحدهم (الحضارات من صنع الإنسان لا من صنع الأديان). وتفصيل خطتهم والرد عليها سيأتي إن شاء الله.

ومن أهم ما يركز عليه هؤلاء: تشويه صورة علماء الإسلام وأنهم رجعيون يريدون أن يتحكموا في فهم النصوص، وتفسيراتهم هي التي تفرخ الإرهاب والتطرف وهم الذين ظلموا المرأة بالحجاب، ومشاكل المجتمع كلها (البطالة - والمواصلات - وظلم الحكام - والفقر - والأمراض ونحوها) كله راجع لهم، ويقول كثير

منهم: (كل من يَعد العرب بالتقدم والرقي إن رجعوا إلى دينهم فهو جاهل أو مخدوع).

وكذلك يحرصون بقوة على نشر التصوف والتشيع، والقاديانية وغيرها من المذاهب المنحرفة، وبالتصوف يصورون الإسلام على أنه رهبانية، وعزلة، وليس فيه مشاركة لا في السياسة والاقتصاد ولا غيرها، وأمريكا تنفق على الموالد والبدع وتشجع التصوف، وبالتشيع يضمنون تشويه صورة الإسلام بما يفعله الرافضة في عاشوراء من لطم الخدود، وشق الجيوب وضرب الرءوس بالسيوف والمشي على النار وغيرها من السجود لغير الله والطواف حول القبور والتبرك بها، ودعواهم أن أئمتهم معصومون ليكون التشيع والتصوف مطابقًا لدين الكنيسة في القرون الوسطى التي قامت العلمانية ضدها.

فأصحاب فكرة الإسلام الليبرالي يريدون منا إسلام مفصلًا على مقاسٍ مطالب أمريكا وأوروبا، وقد كان الإنجليز يدعمون حركة القاديانية في الهند وقد جندوا (مرزا غلام أحمد) فادعى أنه خاتم الأنبياء وأن شريعة الجهاد قد نسخت ونحو ذلك مما يسهل عليهم احتلال بلاد المسلمين ولازالو إلى الآن لهم قنوات بكل اللغات ينشرون باطلهم.

كل ذلك التخطيط والمكر والكيد وشبابُ المسلمين لاهون في مشاهدة الأفلام والمسلسلات والمباريات ويقتتلون عليها، وأقول: والله يُعرض من خلال الإعلام أفكار أشد خطرًا من الإباحية.

وعلى طرح الليبرالية والعلمانية والدولة المدنية كمشاريع للإصلاح والتغيير في العالم العربي الإسلامي ترد أسئلة مهمة:

١- هل الصورة الوردية المنقولة عن أوروبا المتقدمة صورة صحيحة بكل ما فيها؟

٢- وهل الحضارة محصورة في ذلك؟

٣- وهل كل أفرادها حققوا التقدم كما يدعون؟

٤- وماذا لو حقق الإنسان تقدمًا ماديًا وعاش في تَرف، وخسر دينه ونفسه وأخلاقه؟

٥- وهل الواقع العربي بهذا التخلف الشديد؟ ألا يوجد فيه أي إيجابيات؟ ألا يوجد فيه كفاءات وكوادر؟

٦- وهل نحن بحاجة إلى هذه المناهج العلمانية لإحراز التقدم والإصلاح؟

٧- وهل الإصلاح والتقدم مرهون بالعلمانية والإلحاد؛ ألا يمكن أن نحقق الإصلاح ونحن محافظون على ديننا؟

٨- وهل قياس دين الإسلام الذي هو عدلٌ وتوحيدٌ وهدىً ونور وهو دين محفوظ على الدين النصراني المحرف قياسٌ صحيح؟

٩- وهل تلك الشعارات التي ترفعها تلك المذاهب مثل: «الحرية - العدل - التسامح - الرخاء - التقدم»

ونحو ذلك تحقق على أرض الواقع في تلك المذاهب أم تبقى حبرًا على ورق؟

١٠- وهل دين الإسلام دين تطرف وإرهاب كما يصوره أولئك؟ وهل ظلم المرأة؟ وهل يظلم غير المسلمين؟ وهل يحتقر العقل؟ وهل يحارب التقدم؟ وما صحة فكرة الإسلام الليبرالي؟

١١- وهل القسمة محصورة بين أمرين إما رهبانية النصارى أو إباحية العلمانية أم أن ثمَّةَ قسم ثالث يحقق به العبد خيري الدنيا والآخرة؟

والأهم من كل ذلك هل أراد هؤلاء بنا خيرًا وإصلاحًا كما يزعمون أما أرادوا مصلحتهم؟

وتفصيل ذلك سنعرفه إن شاء الله في الدروس القادمة.

وأنبه هنا على أمر مهم جدًّا: أن كثيرًا ممن يعتنون بالعلم الشرعي لا يهتمون بدراسة السياسة الشرعية ولا الاقتصاد الإسلامي، ولا يحاولون طرحَ أي مشاريع للإصلاح والتنمية، بل كثير منهم ينقد كل من حاول من إخوانه من طلبة العلم أن يشارك في الإصلاح، وهذا يفتح الباب بقوة لأصحاب المشروع العلماني.

وكذلك يرى كثيرٌ من طلبة العلم أن الاشتغال بمعرفة المذاهب المعاصرة مثل: (الليبرالية، والعلمانية، والاشتراكية، والرأسمالية، والدولة المدنية، ونحوها) تضييع للوقت، أو أن من يشتغل بها يصير من جماعة (الإخوان المسلمين) وكان لتلك الأفكار أثر بالغ في ترسيخ ما يظنه هؤلاء من أن طلبة العلم الشرعي لا علاقة لهم بالواقع ولا بالحياة السياسية مما يؤكد فكرة (فصل الدين عن السياسة والاقتصاد).

وأنبه أيضًا على أن العلم المفصل بهذه المذاهب المنحرفة المعاصرة من أهم واجبات الدين ولا يمكن الرد على الباطل إلا بعد تصوره تصورًا صحيحًا فالحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: الآية ٣٦] وقد تكلم بعض من ليس خبيرًا بتلك المذاهب في نقضها فأتى بعجائب، كانت كذلك مما رسخ فكرة (أن أهل العلم منعزلون عن السياسة، والسكوت أولى بهم وأحرى).

ومعرفة الشر مفصلًا من أهم مقاصد الشريعة وقد قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: الآية ١٨٥] ففيه الهدى وبراهينه، وبه الفرقان بين الحق والباطل وقد قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام: الآية ٥٥] وكان واجبًا على كل نبي أن ينذر أمته شر ما يعلمه لهم، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية)، وقال حذيفة رضي الله عنه: (كان الناس يسألون النبي ﷺ عن الخير وكنت أنا أسأله عن الشر مخافةأن يدركني). وكان يرتجز:

عرفة الشر لا للشر ولكن لتوقيه ... ومن لم يعرف الشر يقع فيه

وهذا ما وقع تمامًا من كثير من شبابنا المسلمين الذين ينادون بتلك المذاهب ولا يعلمون عنها إلا ما ترفعه من شعارات مثل الحرية والتعددية والعدالة الاجتماعية وتداول السلطة ونحو ذلك.

فكان واجبًا على أهل العلم بيان ذلك وتفصيله، وإلا لم يجد هؤلاء الشباب من يبصرهم بخطر تلك الأفكار.

أيها الأخوة الكرام: إن كثيرًا من شباب المسلمين الذين يرفضون حكم الإسلام لا يعلمون عنه إلا أنه يأمر بقطع يد السارق ورجم الزاني وجلد شارب الخمر وقتل المرتد، لم يعلموا ضوابط تلك الأحكام ولا شروطها ولا الحكمة منها، ولا يعرفون صورة للمتدينين إلا أنهم إرهابيون متطرفون متشددون، ولقد ساعد على نشر تلك الصورة الإعلامُ الساقط.

وأعداء الإسلام على اختلافهم يبذلون كل ما لديهم لتشويه صورة الإسلام والمسلمين، ونحن نساعدهم على ذلك ببعدنا عن أخلاق الإسلام وتركنا للعمل بما نتعلمه من أحكام الإسلام وكثير منا ينفر الناس عند دعوته لهم فكنا من حيث لا نشعر فتنة لكثير من الناس.

وأضرب لك مثلين:

١- طبيب غربي تعلم الإسلام من الكتاب والسنة فأحبه وأسلمَ، وسافر إلى بلاد المسلمين ليرى التطبيق العملي لهذا الدين العظيم فلم يظفر إلا بخيبته، فقال لإمام المسجد كلمة شديدة معناها: (الحمد لله أني عرفة الإسلام قبل أن أتصل بكم فلو كان اتصالي بكم قبل الدخول في الإسلام لوقعت في الفتنة). اهـ. فنعوذ بالله أن نكون كذلك ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [المُمتَحنَة: الآية ٥].

٢- وشاب مسلم كان قد أحب فتاة غير مسلمة وعرض عليها الإسلام فقالت له لن أدخله حتى أتعرف عليه وطلبت منه كتبًا لتتعرف على الإسلام، فأتى لها بالكتب وبقيت عدة أشهر ولم تتصل به، وبعد مدة كلمها ليرى النتيجة، فقالت له: (من مقتضى ما قرأتُهُ عن دين الإسلام فأنت لست مسلمًا.

أيها الأخوة الكرام: على كل مسلم صادق أن يجعل الإسلام قضيتَهُ يتعلمه ويعمل به ويدعوا به إلى الله، ويبذل كل ما لديه لنصرة هذا الدين في كل المجالات **(ديننا عظيم وهو الدين الحق وهو كالجوهرة لا يحتاج إلا من يحسن فهمه والعمل به وعرضه وشرحه على الناس بلغة العصر)**، فإن أدينا ذلك الواجب ورآه الناس منا واقعًا عمليًا صار ما ندعوا إليه الآن ونريد فرضه على الناس من الحكم بالإسلام مطبًا عامًا.



وأذكركم أخيرًا

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنفال: الآية ٣٦].

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ١٢١﴾ [هود: الآية ١٢١].

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٢٩].

وقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمّد: الآية ٣٨].

وقوله: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: الآية ٨٩].

وقول النبي ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**».

وقوله: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**».

وقوله: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شيء فلا تقل لو كان كذا لكان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل**».

وقوله تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ﴾ [النِّساء: الآية ٨٤].

وقوله: «**أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل**».

وقوله: «**لا تحقرن من المعروف شيئا**».

وقوله: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**».

وقول الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحَشر: الآية ٩].

وقوله: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**».

وقوله: «**من قال هلك الناس فهو أهلكُهم**». وكان ﷺ يعجبه الكلمة الطيبة.

وقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٦٩﴾ [العَنكبوت: الآية ٦٩].

أسأل الله تعالى أن يهدنا لما اختلف علينا من الحق والحمد لله رب العالمين.

الدرس القادم - إن شاء الله -: «نشأة العلمانية في أوروبا».

كتبه: حسين بن عبد الرازق

لأي ملاحظات أو اقتراحات ت: ٠١٢٥٢١٥٨٥٤